إتحافُ الطّالب

بفوائد حديث البراء بن عازب

كتبه

م. مُنتصِر بن عبد الفتّاح بن ظاهِر بيبرس

راجعه فضيلة الشيخ المحدث

علي بن حسن الحلبي الأثري



إتحافُ الطّالب

بفوائد حديث البراء بن عازب



الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

المملكة الأردنية الهاشمية

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٥/٩/٤٣٠٢)

❖ بيبرس ، منتصر عبدالفتاح.

❖ إتحاف الطالب بفوائد حديث البراء بن عازب /منتصر عبدالفتاح ظاهر بيبرس،٢٠١٥

❖ عدد الصفحات (٥٨) .

❖ ر. أ.: ٢٠١٥/٩/٤٣٠٢ .

دار الفاروق للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي – عمارة جوهرة القدس

E- mail: daralfarouq@yahoo.com

إتحافُ الطّالب

بفوائد حديث البراء بن عازب

كتبه

م. مُنتصِر بن عبد الفتّاح بن ظاهِر بيبَرس

راجعه فضيلة الشيخ المحدث

علي بن حسن الحلبي الأثري



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة في بيان فوائد حديث عظيم المعروف بحديث البراء بن عازب الذي هو من أوسع الأحاديث في وصف الروح وحال الميت وحال المقبور وإثبات عذاب القبر حتى كان العديد من أهل العلم يستدلون به ويوردونه في كتبهم كالإمام ابن القيم في الروح والقرطبي في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وابن كثير في تفسيره والإمام الألباني في أحكام الجنائز وغيرهم من أهل العلم.

وهذا الحديث فيه من الفوائد الفقهية والعقائدية والأخلاقية التي تهم كل مسلم في دينه والتي تجعل نفسه مطمئنة راجعة إلى ربها راضية مرضية لا نفسا أمارة بالسوء لوامة!

وهكذا أهل السنة يستخرجون الفوائد العظيمة والدرر الثمينة والجواهر النفيسة من الأحاديث النبوية لا كحال الطاعنين والمشككين في الأحاديث النبوية حتى كانوا يلمزون أهل السنة في رواية الأحاديث كحال من لمزهم في حديث يا أبا عمير ما فعل النغير فاستخرج أهل العلم منه الفوائد الفرائد وردوا على من يطعن بالحديث وأهل الحديث وألجموا من اتهمهم بأنهم يروون الأحاديث دون فقه وعلم أو أنهم يروون عن الأموات!

والأحاديث الطوال قل ما يسلم منها من الضعف إلا أن هذا الحديث صححه كثير من أهل العلم واستدلوا به كالإمام ابن كثير والقرطبي وابن تيمية وابن القيم والألباني وغيرهم لذا فهو كنز ثمين وبحر واسع نستغل صحته في بيان فوائده.

وقد بذلت وسعي وقيدت الفوائد بما يسره الله لي حتى أخرج هذه الرسالة القيمة الصغيرة في حجمها والكبيرة في محتواها لتكون بمثابة موعظة بليغة وزاجرة لأصحاب الأرواح الخبيثة وذكرى نافعة

لأصحاب الأرواح المطمئنة وكفى بالحديث وحده موعظة ولكن لمن ألقى السمع!!

وليست هذه الفوائد المستخرجة هي كل الفوائد وإلا هي كثيرة وقد يفتح الله على المسلم من الفقه في الدين وفقه هذا الحديث فتجده يأتي بالفوائد الفرائد.

وإن أفضل موعظة وقصص هو قصص الكتاب والسنة ومواعظهما فهي الأَوْلى في الموعظة لا كحال الذين يعظون الناس على غير هدي الكتاب والسنة بالقصص الكاذبة والأحاديث الضعيفة.

ونسأل الله أن يفيدنا بفوائده وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وهذا نص الحديث:

عن البراء بن عازب قال:

"خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ (مستقبلاً القبلة)، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، (فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثا)، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين، أو ثلاثا، (ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر) (ثلاثا)، ثم قال: إن

العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيئ ملك الموت عليه السلام(حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة)، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم)، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون -يعني- بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة،

فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١﴾، فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإني (وعدتهم أني) منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: ف(يرد إلى الأرض، و) تعاد روحه في جسده، (قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه) (مدبرين) فيأتيه ملكان (شديدا الانتهار) ف(ينتهرانه، و) يجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الاسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به، وصدقت، (فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾، فيقول: ربي الله، وديني الاسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه (وفي رواية: يمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، (أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم

مقيم)، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: (وأنت فبشرك الله بخير) من أنت فوجهك الوجه يجيئ بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح (فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في إطاعة الله، بطيئا في معصية الله، فجزاك الله خيرا)، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت، الله، أبد لك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهل ومالي، (فيقال له: اسكن).

قال: وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد)، سود الوجوه، معهم المسوح (من النار)، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (الكثير الشعب) من الصوف المبلول، (فتقطع معها العروق والعصب)، (فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم)، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت

على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان – بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، (ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى)، فتطرح روحه (من السماء) طرحا (حتى تقع في جسده) ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، فتعاد روحه في جسده، (قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولو عنه ويأتيه ملكان (شديدا الانتهار، فينتهرانه، و) يجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقول له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري)، فيقولون: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم) فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد! فيقول) هاه هاه لا أدري (سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: لا دريت)، (ولا تلوت)، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه

أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول (وأنت فبشرك الله بالشر) من أنت؟ فوجهك الوجه يجيئ بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث؟) فوالله ما علمت إلا كنت بطيئا عن طاعة الله، سريعا إلى معصية الله)، (فجزاك الله شرا، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان ترابا، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شئ إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويمهد من فرش النار (فيقول: رب لا تقم الساعة).

***

أخرجه أبو داود والحاكم والطيالسي وأحمد والسياق له والآجري في الشريعة.

وروى النسائي وابن ماجة القسم الأول منه إلى قوله: وكأن على رؤوسنا الطير وهو رواية لأبي داود بأخصر منه وكذا أحمد وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي، وهو كما قالا، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين وتهذيب السنن ونقل فيه تصحيحه عن أبي نعيم وغيره.

(راجع لفظ الحديث وتخريجه في أحكام الجنائز للإمام الألباني ص١٥٩)

و(صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٢١٩)

***

قوله: (خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار) فيه حرص الصحابة على الخروج مع النبي عليه الصلاة والسلام في أغلب أحواله لاسيما في الجنائز وفيه اتباع الجنازة وخروج الرجل الفاضل مع مشيعيها وفيه أن الأنصار لهم مزية في ذكرهم والخروج لجنازتهم والجنازة بكسر الجيم اسم للنعش وبفتح الجيم الميت وفيه بيان حق المسلم لحديث النبي عليه الصلاة والسلام (حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحَمِد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتبعه). (رواه مسلم ٢١٦٢)

قوله: (ولما يلحد) فيه أفضلية اللحد وسنية اللحد وأنهم كانوا يفعلونه ودلالة أنه وعظ قبل تلحيده في القبر أو عند إرادة تلحيده واللحد فعل بقبر النبي عليه الصلاة والسلام، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إذا أنا متُّ فألحدوا لي لحداً وانصبوا عليَّ اللبن نصباً كما صنع برسول الله ﷺ. (أخرجه مسلم ٩٦٦).

قوله: (فجلس رسول الله ﷺ) فيه سنية الجلوس عند القبر والموعظة عنده والجلوس يساعد على استجلاب الخشوع والتفكر في الموت والقرب من القبر والأرض وأن الإنسان منها بدأ وفيها سيعود ويخرج! وفيه أن الإمام قدوة لغيره فهو بدأ بالجلوس وفيه أن التعليم العملي مدعاة للفهم

قوله: (مستقبل القبلة) فيه سنية استقبال القبلة وشرفها وتعظيمها لا سيما عند الدعاء والمواعظ وفيه تعظيم التوحيد في نفوسهم فاستقبل القبلة لا القبر!واستقبال القبلة في الدعاء والموعظة في أحاديث كثيرة وهي من التواتر المعنوي كاستقباله في الاستسقاء وفي بدر وهكذا.

قوله: (وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير) فيه أدب الصحابة مع النبي عليه الصلاة والسلام فهم جلسوا مباشرة بعد جلوس النبي عليه الصلاة والسلام فجلسوا حوله ليكون أبلغ في الاحترام وأفضل للاستماع وأجلب للانتفاع بالموعظة وهم في حال من الخشوع والتواضع والذل وكأن الطير التي تخاف بالعادة من بني آدم مستقرة على رؤوسهم وحق لهم هذا الخشوع مع شرف الناصح لهم وفي وقت جنازة وموت وبجانب قبر فرضي الله عنهم

وفيه سرعة استجابة المتعلم وتقليد العالم الموافق علمه للكتاب والسنة.

قوله: (وفي يده عوده ينكت في الارض) وهذا مما يساعد على التفكير والاستحضار وغيره.

قوله: (فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الارض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثا) دلالة على إثبات العلو لله وأن ذلك مثبت بالفطرة والسمع وتأكيد ذلك عدة مرات وأن النبي عليه الصلاة والسلام ما ينطق عن الهوى وأنه يوحى إليه وفي نظره للأعلى رد على من يقول أن الدعاء قبلته السماء وينكرون العلو لله ويقولون أنه في كل مكان فهو استقبل القبلة ثم نظر للسماء فلو كانت السماء قبلة للدعاء لما استقبل القبلة وكان لا بد من استقبال السماء! وتفصيل ذلك ورد هذه الشبهة موجود في كتب العقيدة كما ذكر ابن ابي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية حيث رد رحمه الله على هذا القول من عدة أوجه .

أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة للدعاء - لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة، فمن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو إن له قبلتين: إحداهما الكعبة والأخرى السماء فقد ابتدع في الدين، وخالف جماعة المسلمين.

الثالث: أن القبلة: هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء، والذكر والذبح، وكما يوجه المحتضر والمدفون، ولذلك سميت "وجهة"، والاستقبال خلاف الاستدبار، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى "قبلة"، لا حقيقة ولا مجازاً، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى "قبلة"، لا حقيقة ولا مجازاً، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه، بل نهوا عن ذلك.

ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجوء والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل، وأكثر

ما يفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة، وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده. (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٣٢٧-٣٢٨).

وفيه بيان أن حديث السماء قبلة الدعاء لا أصل له!!! (السلسلة الضعيفة ٤٤٣/ ١٣).

قوله: (استعيذوا بالله من عذاب القبر) فيه إثبات عذاب القبر وهو من عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على من أنكره من أهل البدع والعقلانيين وهو ثابت بالكتاب والسنة، وتكراره مرتين أو ثلاثا لتأكيده وبيان أهمية الأمر وأنه أجلب للحفظ والاتعاظ وترسيخ المعنى والأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر].

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة: ٢١].

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة].

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور].

فقد جاء عن بعض المفسرين أنها في عذاب القبر وعن النبي ﷺ قال لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر)
(رواه مسلم٢٨٦٨)

وعن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: يعذبان وما يعذبان في كبير. ثم قال: بلى كان أحدهما لا يستبرئ من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة. ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ فقال: لعله أن يخفف عنهما ما تيبسا أو إلى أن ييبسا. (البخاري٢١٦ ومسلم٢٩٢).

وفي صحيح مسلم أيضا (أن النبي ﷺ قال: إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال). (مسلم ٥٨٨)

وغيرها من الأدلة التي تثبت عذاب القبر كما هو موجود في كتب العقيدة.

قوله: (ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر) (ثلاثا) فيه أن النبي عليه الصلاة والسلام يعلم ويطبق العلم ويعظ ويفعل ما يعظ به فها هو أمر بالاستعاذة واستعاذ من العذاب وفيه إثبات عبوديته لخالقه وعدم الغلو به صلى الله عليه وسلم وأنه فقير لله.

كما جاء في صحيح البخاري: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله .(البخاري٣١٨٩)

وكررها لبيان أهمية ذلك وإثباته وترسيخه وأنه مدعاة للاستجابة بتكرير الدعاء وفيه التوسل بالله أو بأسمائه وصفاته وهو من التوسل المشروع كقول أعوذ بكلمات الله التامات والتوسل المشروع أنواع:

الأول: التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].

الثاني: التوسل إلى الله بالعمل الصالح كقصة الثلاثة أصحاب الغار لما انطبق عليهم فدعوا الله بصالح أعمالهم. (البخاري٣٤٦٥ مسلم ٢٧٤٣)

والثالث: التوسل بدعاء الرجل الصالح كما جاء عن عمر رضي الله عنه لما أصابهم القحط قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك اليوم بعم نبيك، ثم طلب من العباس أن يدعو فسقوا بإذن الله. كما روى ذلك (البخاري١٠١٠).

أما التوسل الممنوع والبدعي والشركي فهو التوسل بالميت والمقبور والأصنام والأولياء وغيرهم (راجع كتاب التوسل للشيخ الألباني وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية).

قوله: (إن العبد المؤمن) فيه أن لفظ المؤمن والمسلم من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت وتدل على بعضها.

قوله: (إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة) دلالة على الاحتضار وأنه في مرحلة للانتقال لدار البرزخ وأنه سينقطع من الدنيا ويقبل على حياة أخرى.

قوله: (نزل إليه ملائكة من السماء) دلالة على شرف الملائكة ورفعتهم وأنهم في السماء وأنهم يتنقلون ويسمعون أوامر الله ودلالة على إثبات العلو لله فهم في الملأ الأعلى يصعدون ويسمعون ما يؤمر لهم من ربهم.

قوله: (بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس) دلالة على شرف العبد المؤمن ناسبه مجيء ملائكة الرحمة يبشرونه وأنهم بيض الوجوه مشرقة كالشمس ودلالة على أن الملك يتشكل بصور عدة حتى بصورة الإنس كما في حديث جبريل وبحالات عدة فهم مع المؤمن كالشمس ومع الكافر وغيره سود الوجوه.

قوله: (معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة) لما كان لهذه الروح المؤمنة ناسبها كفن من الجنة وناسبها طيب من الجنة وفيه أن الكفن لا بد للميت وأنه يغسل بالماء والسدر ويوضع في النهاية الكافور ما عدا المحرم كما جاء في الآثار فإذا كان هذا في إحضار الملائكة لروح المؤمن وهو أمر غيبي نؤمن به فمن باب أولى لجسده في الدنيا!وكما جاء بالحديث قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "خَيْرُ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضُ، فَالْبَسُوهَا، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ"(صححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣٠٤).

وأيضا عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: (دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته، فقال: اغسلنها ثلاثا، أو خمسا، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء، وسدر، واجعلن في الآخرة كافورا،

أو شيئا من كافور، فإذا فرغتن فآذِنَّني، فلما فرغنا آذناه، فأعطانا حقوه، فقال: أشعرنها إياه) تعني: إزاره (مسلم ٩٣٩).

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أن رجلاً وقصه بعيرُه ونحن مع النبي ﷺ وهو محرم، فقال النبي ﷺ: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تمسوه طيبا، ولا تخمروا رأسه؛ فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيا (البخاري١٨٥٠ مسلم ١٢٠٦).

قوله: (حتى يجلسوا منه مد البصر) هذا على الحقيقة ونؤمن به كما جاء بالحديث دون التوهم العقلي وأنه لا يوافق العقل والحياة البرزخية من الغيب لا يمكننا التكلم بها من عقولنا والأصل فيها التوقيف وما جاء بالكتاب والسنة فنؤمن به وهي أول صفات المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣]، وحال الروح بالبرزخ غير الدنيا وغير الآخرة وقياسها على الدنيا قياس باطل بل نحن لا نعلم عنها في الدنيا ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وحال النائم تصعد روحه وجسده حي ونحن لا نعقل هذا في الدنيا فلماذا القول عليها في البرزخ وإنكار ذلك! ونجد النائم يرى نفسه بالمشرق والمغرب ويتألم ويفرح وهو نائم وروحه تصعد ونجد الشخصين بجانب بعضهما نائمين أحدهما يرى نفسه في النعيم

والآخر في الجحيم وهذا في الدنيا فما بالنا بالبرزخ والآخرة!

(راجع كتاب الروح لابن القيم) فهو كتاب هام وماتع وموسع في هذه المسألة.

قوله: (ثم يجيئ ملك الموت عليه السلام) فيه تسمية ملك الموت بهذا الاسم ولا دليل على تسميته بعزرائيل لأن الأصل بتسمية الملائكة التوقيف واتباع الدليل بل ولا يجوز اللمز به ووضع النكت والمزاح عليه كما يفعل العوام فهو ملك مكرم وفيه أن الملائكة تتنوع مهامهم منهم للقطر ومنهم للوحي ومنهم للكتابة ومنهم للحماية ومنهم لأخذ روح الميت وهكذا.

قوله: (حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة) فيه أن الملك يخاطب الروح وفيه تسمية الروح بالنفس كما جاء بالحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: (نفس المؤمن معلقة بدَينه حتى يقضى عنه) (الترمذي ١٠٧٨ وصَّححه الألباني) وفيه أن الروح جسم لطيف وليست عرضا وهي جسم لطيف خفي لمخاطبة الملك لها وسيأتي دليل صعودها وحملها وغيره مما يدل أكثر على أنها جسم وليست عرضا كما

تقوله الفلاسفة! وقوله: المطمئنة فيه ذكر إحدى تقسيمات النفوس الثلاثة وهي الموافق للآية ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر]. وفي جلوسه عند رأسه لمخاطبته من عند الرأس مواجها له وأبلغ في المخاطبة والنفوس ثلاثة أنواع مطمئنة وأمارة بالسوء ولوامة ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣]. ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، وقد تكون اللوامة أقرب للمطمئنة إذا لامتها على الخير وقد تكون أقرب للأمارة بالسوء إذا لامتها على فعل السوء (راجع كتاب الروح لابن القيم).

قوله: (اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان) فيه أن الروح جسم فقد خاطبها الملك وقال اخرجي إذن هي داخلة في الجسم وإلا لما أمرها بالخروج! وفيه أن الجسم قابل لدخول الأرواح فيه والرد على من ينكر تلبس الجن للإنس ودخول الشيطان فيه وكما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام إن الشيطان يجري مجرى الدم من العروق وفيه إثبات المغفرة للذنوب من الله العزيز الغفار وفيه إثبات الرضا لله بلا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل وإثباته كما يليق ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

وفي مسلم عن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك.... (مسلم ٧٥١).

وفي مسلم عن النبي عليه الصلاة والسلام قال إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً....(مسلم١٧١٥)

قوله: (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها) أيضا فيه أن الروح جسم لطيف لقوله (يأخذها) (وتخرج) وتشبيهها بسيلان القطرة وفيه سهولة خروجها من جسد المؤمن وفيه شرف المؤمن وأن روحه سهلة الخروج.

قوله: (حتى إذا خرجت روحه صلى الله عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم) فيه أن صلاة الملائكة للمؤمنين هي الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة.

وصلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند ملائكته وفيه فرح الملائكة بالمؤمن وقد يستفاد منه أفضلية بني آدم المؤمنين الصالحين على الملائكة على الراجح من أقوال أهل العلم وفيه شرف الملائكة

وعلو مكانتهم العينية والمعنوية وفيه أن الملائكة ترى أرواح المؤمنين لأن الروح جسم لطيف وتعرفها الملائكة وفيه أن عروج الروح وحدها غير الروح والجسد فالنبي عليه الصلاة والسلام عرج بروحه وجسده وكل من الحالتين مختلفتان وفيه أن للسماوات أبواباً وفيه التنافس على مقابلة الرجل الصالح والعالم وغيره.

قوله: (فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط) فيه تسابق الملائكة لخدمة مؤمني بني آدم والتسابق لوضع روحه الزكية الطيبة في الكفن المطيب بالرائحة الزكية وأيضا فيه الرد على الفلاسفة القائلين بأن الروح عرض وفيه التنافس في خدمة الرجل الصالح وروحه الطيبة.

قوله: (فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: فيه أن السنة تفسر القرآن ولا تنافي بينهما وكما جاء في الحديث (ألا إني وأوتيت القرآن ومثله معه)(أبو داود ٤٦٠٤ صححه الألباني).

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤]، وفيه أن الوحي يصدِّق بعضه بعضا والظاهر أن الملائكة أكثر من شخص عندما تحضر للوفاة والذي يتولى القبض ملك الموت قال ابن كثير في

تفسيره: إن ملائكة موكَّلون بذلك، قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم. (تفسير ابن كثير ٣/٢٦٧)

وفيه إثبات أحد أنواع الوفاة فالوفاة إما نوم وإما وفاة موت لقوله ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢].

وفيه هنا نسبة الوفاة للملائكة وفي آية أخرى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ ولا منافاة فالله يتوفى الأنفس ويأمر الملائكة بقبض الروح.

قوله: (ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض) فيه شرف روح المؤمن وتزكيتها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس]. وفيه أفضلية الطِّيب واستحبابه كما في النسائي أن النبي ﷺ قال :حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة .(النسائي٣٩٣٩ صححه الألباني في صحيح الجامع٥٤٣٥).

قوله: (فيصعدون بها فلا يمرون -يعني بها- على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟) دلالة على علو مكانة الملائكة وشرف روح المؤمن وأن الروح لها سمات تعرف ولها صفات

طيبة وزكية وشريفة وفيه الرد على الفلاسفة والعقلانيين وفيه أن الملائكة متفاوتون في أفضليتهم وأفضلهم جبريل عليه السلام.

قوله: (فيقولون: فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا) فيه أن الشخص ينادى باسمه واسم أبيه لا سيما يوم القيامة ولا دليل على مناداته باسم أمه بل جاء في الحديث ما يدل على مناداته باسم والده كما جاء عن رسول الله ﷺ: قال: (إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان). (متفق عليه) (مسلم١٧٣٥). وفيه استحباب تسمية الشخص بالأسماء الحسنة والبعد عن القبيح كما جاء عنه ﷺ: (أصدق الأسماء الحارث وهمام) (أبوداود٤٩٥٠صححه الألباني) وعن ابن المسيب عن أبيه: أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟ قال: حَزْن، قال: أنت سهل. قال: لا أغير اسما سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد) (البخاري٦١٩٠) وفيه أن الشخص قد يكون له عدة أسماء وكنى.

قوله: (حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم) فيه أدب الملائكة وأنهم يستأذنون الملائكة الذين هم في السماء

الدنيا حتى يشيعوها هذا في الملائكة فما بالنا نحن وقد أمرنا رسول الله ﷺ قائلا: الاستئذان ثلاث، فإن أُذن لك وإلا فارجع. (رواه مسلم٤٠٠٧).

قوله: (فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها) فيه علو مكانة الملائكة وفيه سنية تشييع الجنازة والمشي بها والنعي الجائز لا النعي البدعي هذا في الروح من الملائكة وأما للجسد فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه نعى النجاشي (البخاري١٣٢٨) لما توفي والحديث الذي بين أيدينا وهو حديث البراء بن عازب يبين سنية التشييع للجنازة وهي المشي معها حتى تدفن كما نبه على ذلك وكما ذكرت في حق المسلم في البداية.

قوله: (حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين) فيه إثبات أن السماوات سبع وإثبات عقيدة أهل السنة والجماعة على إثبات صفة العلو لله وهي من الصفات الذاتية وهي ثابتة بالنص والفطرة والعقل وغيره ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]. ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وكما قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية (والنصوص

الواردة المتنوعة المحكَمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، التي تقرب من عشرين نوعاً: أحدها: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة: من، المعيِّنة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾. الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.. الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: تعرج الملائكة والروح إليه. وقوله ﷺ: يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم. الرابع: التصريح بالصعود إليه. كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾. الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾. وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾. السادس: التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتاً وقدراً وشرفاً، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾. ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾. السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾. ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾. ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى

لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ ﴾. الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾. ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾. ففرق بين من له عموماً وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصاً. وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: أنه عنده فوق العرش. التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون في بمعنى على، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره. العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة على مختصاً بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة: ثم الدالة على الترتيب والمهلة. الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ: إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً. والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع، كما يأتي إن شاء الله تعالى. الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء

الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل. الثالث عشر: الإشارة إليه حساً إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: أنتم مسؤولون عني، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلاً: اللهم اشهد. فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: اللهم اشهد، ونشهد أنه بلّغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أُمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين. الرابع عشر: التصريح بلفظ الأين كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه: أين الله، في غير موضع. الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان. السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام

الصعود إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾. فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبته فهو موسوي محمدي. السابع عشر: إخباره ﷺ: أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار. الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى، من الكتاب والسنة، وإخبار النبي ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، فلا يرونه إلا من فوقهم، كما قال ﷺ: بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾. ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم رواه الإمام أحمد في المسند، وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه. ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية. ولهذا طرد الجهمية الشقين، وصدق أهل السنة بالأمرين معاً،

وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذباً بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء! وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!

(شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٨٠).

وكلام السلف في إثبات صفة العلو كثير جداً....(راجع اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم).

وفيه إثبات صفة الكلام لله وهي من الصفات الذاتية الفعلية ومرتبطة بمشيئته وهو بصوت وحرف والأدلة كثيرة:

﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية: هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس. وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه

الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة.

وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معانٍ، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانيه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً، وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل اليه الرازي في المطالب العالية.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الاصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

(شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي)

(وراجع لزاما مجموع الفتاوى في عدة أجزاء لا سيما جزء كلام الله) فإنه هام جدا جدا.

والدليل على أنه بصوت ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم].

والنداء لا يكون إلا بصوت والمناجاة لا تكون إلا بصوت.

وعن النبي ﷺ، أنه قال:

"يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ أنا الملك أنا الديان".(الأدب المفرد٩٧٠ صححه الألباني تخريج السنة ٥١٤).

ودليل الحرف قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف (رواه الترمذي ٢٩١٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٦٩) وغيرها من الأدلة.

وفيه إثبات الجنة وأنها موجودة الآن ومخلوقة وأنها فوق السماوات والرد على أهل البدع.

قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾، فيكتب كتابه في عليين، فيه أن السنة توافق الكتاب وتفسره وأنهما يأتلفان ولا يختلفان وفيه أن الملائكة منهم المقربون لفضلهم وفيه سرعة استجابة الملائكة للأوامر فعقب الكلام بالفاء و فيه إثبات الكتابة واللوح وأن كل شيء يكتب ولا يخفى شيء وفيه

إثبات القدر وأنه سيكتب كل شيء وأن من مراتب القدر الكتابة وأولها العلم ثم الكتابة ثم المشيئة ثم الخلق

كما قال ابن عثيمين في شرحه على لمعة الاعتقاد: والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق لقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾.

نبرأها: أي نخلق الخليقة.

ولقوله ﷺ:

"إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة". (رواه مسلم).

الثالث: أنه لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى:

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾

فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.

الرابع: أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى، لا خالق غيره ولا رب سواه لقوله تعالى:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾.

(لمعة الاعتقاد شرح ابن عثيمين)

قوله: (ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإني (وعدتهم أني) منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى) فيه أن الجنة هي فوق السماوات وليست في الأرض للفظ أعيدوه فإعادتها بعد الصعود

يلزم على أن الجنة ليست في الأرض كما يزعم البعض وفيه إثبات أن مادة خلق البشر من الطين من الأرض وفيه إثبات البعث بعد الموت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون]. ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وقال النبي ﷺ:

"يحشر الناس يوم القيام على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد". (البخاري٦٥٢١ مسلم ٢٧٩٠).

والأدلة كثيرة وفيه أن الله لا يخلف وعده ولم يرد ترداد هذه الآيات أثناء تأدية سنة حثي التراب من جهة الرأس أثناء الدفن ولا دليل على ذلك (راجع أحكام الجنائز للألباني).

قوله: ف(يرد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده) هنا إعادة الروح ليست كإعادتها في الدنيا فحياة البرزخ أمر غيبي لا مجال للعقل به ولا يقال إعادة الروح هنا يلزم منها الحياة فكما قلنا أنها مسألة غيبية ولا نقيس حياة البرزخ على الحياة الدنيا بل نفس الحياة الدنيا لا ندرك الروح فيها لا سيما عند النوم فهو أمر مجهول كما فصل ابن القيم في كتابه الروح وقد نستأنس بهذا

اللفظ على أن عذاب القبر للروح والجسد وكذلك النعيم ويوجد لفظ فتتفرق روحه في جسده دلالة على أن العذاب والنعيم حتى لمن دفن مقطع الأعضاء أو أكلته السباع وأيضا فيه رد على من يقول أن النبي عليه الصلاة و السلام حي في قبره لرد الروح عليه لما نصلي عليه فيرد السلام فهاهو كل ميت تعاد الروح لجسده ولا يلزم منه الحياة وكما ذكرت أن الروح في البرزخ حالها مختلف ولفظ أنا حي طري في قبري لا يصح كما نبه الشيخ الألباني في التوسل ولا يلزم من بقاء الجسد بقاء الحياة فقد ورد أن الشهداء لا تأكل الأرض أجسادهم ولا يلزم منه حياتهم!

قوله: (قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه)، فيه أن الميت يسمع خفق النعال للمشيعين وهو على ظاهره، ولا نكذب النص ولا نؤوله، وهذا الذي جاء به الحديث في مسلم.

قال رسول الله ﷺ: إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا. (مسلم: ٥١١٦).

وأيضا مما يدل على السماع هذا الحديث:

وقف الرسول ﷺ بعد ثلاثة أيام من معركة بدر على قتلى بدر من المشركين، فنادى رجالاً منهم، فقال : يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! كيف يسمعوا وأنىَّ يجيبوا وقد جَيَّفوا؟! قال: والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا، ثم أمر بهم فسحبوا، فألقوا في قليب بدر. (رواه مسلم ٢٨٧٤).

وهذا خاص بالميت وهو في هذه الحالة، ولا يقاس عليه أن الميت يسمع الشخص الذي يتكلم معه. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [فاطر]، ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾ [النمل]، فهذا دليل على عدم السماع للميت إلا ما خصه الدليل بسماع قرع نعال المشيعين وأهل قليب بدر ولا يلزم من السماع أنه يكون حيا! فكما ذكرنا أن الروح في البرزخ ليست كحالها في الدنيا!

قال ابن تيمية:

"فهذه النصوص وأمثالها تُبيِّن أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائماً، بل قد يسمع في حال دون

حال، كما قد يَعرض للحي فإنه يَسمع أحياناً خطاب من يُخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرِض له". (مجموع الفتاوى: ٥/ ٣٦٦).

قوله: (فيأتيه ملكان (شديدا الانتهار) فـ(ينتهرانه) هنا الانتهار لأنها فتنة وكما صرح في الرواية نفسها وهي آخر فتنة تعرض على الميت فهنا الانتهار مع أنه مؤمن ليس من باب العذاب بل من باب الفتنة نسأل الله الثبات

قوله: (يجلسانه فيقولان له: من ربك؟

فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الاسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ) فيه بيان الأصول الثلاثة المهمة التي يسأل عنها العبد في قبره ويحيا عليها في دنياه وكما جاء عن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربا، وبمحمد ﷺ رسولا، وبالإسلام دينا، غفر له ذنبه". (رواه مسلم ٣٨٦).

ولأهميتها عقد الإمام محمد عبد الوهاب - رحمه الله- كتابه الأصول الثلاثة.

وهنا الإجلاس له على ظاهره نؤمن به ولا نكذب به ولا نؤوله ولا نقيسه بعقولنا وهو في البرزخ أمر غيبي غير أمر الدنيا.

وقوله: ما هذا الرجل دلالة على أن النبوة في الرجال لا في النساء لا كما جعلها البعض في النساء ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [يوسف: ١٠٩].

قوله: فيقولان له: وما عملك؟

فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به، وصدّقت فيه أن العمل من الإيمان وأنه يزيد وينقص فهو تلا الكتاب فآمن به وازداد إيمانا وفيه أن الإيمان التصديق مع الإذعان لا مجرد التصديق لتفريقه فآمنت به وصدقت وكما في الآية ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف] (وكما نبه على ذلك شيخ الإسلام في كتاب الإيمان)، والإيمان يزيد وينقص والعمل من الإيمان لأدلة كثيرة منها

﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣].

﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح: ٤].

وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق". (رواه مسلم٣٥).

وثبت في سبب نزول هذه الآية عند (البخاري ٤٠) وفي آخره أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾.

وغيرها من الأدلة.

قوله: (وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

فيه إثبات الفتنة في القبر وهي مفسرة لحديث الاستعاذة من فتنة المحيا والممات وفيه إثبات الكلام لله لقوله حين يقول وفيه إثبات أن السنة تفسر القرآن وتبين معناه وأنها لا تتعارض معه نسأل الله الثبات في الدنيا والآخرة وفيه أن المؤمن يفتن ويبتلى ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت].

وفيه أن تثبيت المؤمن من الله عز وجل.

قوله: (فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من

روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره) فيه نعيم القبر وأن فيه العذاب والنعيم وأن المؤمن له شرف عظيم فقد نادى المنادي أنه صادق وهذه شهادة له بالصدق وهذا النعيم واتساع القبر نؤمن به ولا ننكره كما جاء معنا وكما جاء في الأثر أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار والصادق يبين صدقه كما في الحديث حتى يكتب عند الله صديقا فهنا كتب وقيل عنه الصدق بينما الكاذب نسأل الله العافية.

قوله: (وفي رواية: يمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، (أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم)، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: (وأنت فبشرك الله بخير) من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح (فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في إطاعة الله، بطيئا في معصية الله، فجزاك الله خيرا) فيه أن الأعمال والأجروالثواب يتمثل ويتشكل وهذا للثواب كما في ثواب سورة البقرة وآل عمران ووضع الأعمال في الميزان وصورة الموت على هيئة الكبش وغيرها وفيه إثبات صفة الرضا لله وإثبات وجود الجنة وأنها موجودة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

والإعداد يلزم منه الوجود وفيه التبشير بالخير وكان النبي عليه الصلاة والسلام يعجبه الفأل وفيه جواز الحلف بلا استحلاف وفيه القول بجزاك الله خيرا وأنه أبلغ في الثناء كما جاء في الحديث قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاء" (صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب٩٧٠).

وفيه استحباب حُسن الوجه والتجمل وحُسن الثياب وطيب الرائحة وفي التبشير بالخيروالأمر الطيب

قوله: (ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبد لك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، (فيقال له: اسكن) وهذا كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإن مات فدخل النار وَرِثَ أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾. وقال ﷺ : إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا، فيقول: هذا فكاكك من النار. (ابن ماجة٤٣٤١ صححه الألباني).

وفيه أن المؤمن يشتاق لدخول الجنة ورؤية نعيمها حتى إنه يريد قيام الساعة بسرعة لرؤية نعيم الآخرة لأنه في البرزخ منعَّم فما بالنا بالآخرة.

وفيه إثبات أن للجنة أبواباً وهي ثمانية أبواب كما في مسلم: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ. (مسلم ٢٣٤ أبوداود١٦٩).

وفيه إثبات أن للنار أبواباً وهي سبعة أبواب ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحجر].

قوله: وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) فيه أن الفاجر والعاصي له نصيب من هذه المعاملة مع روحه الخبيثة ولا يلزم من فجوره كفره وقد يكون فيه كلا الصفتين ﴿إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح]. وكما في الحديث وإذا خاصم فجر! (مسلم٥٨) وقد يستفاد منه عدم تكفير أهل القبلة العصاة أصحاب الكبائر للتفريق بين الروايات تارة للكافر وتارة للفاجر.

قوله: (نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد)، سود الوجوه، معهم المسوح (من النار)، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه) فيه إذلال الكافر والعاصي وأن كفنه من النار وخشن وليس كفنا طيبا مطيبا ومر معنا الكلام على الجلوس ومجيء ملك الموت وتسميته وأن هذا على ظاهره.

قوله: (أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب) فيه بيان القسم الآخر من النفس وهي الخبيثة وقد تميل اللوامة فتكون خبيثة إذا لامته لماذا لم يفعل المعصية وفي إثبات السخط والغضب كما يليق بلا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة: ٨٠]، ﴿فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٦].

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨].

وقال النبي ﷺ:

"إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي". (متفق عليه) (البخاري٧٥٥٤ مسلم٢٧٥١).

وكان من دعاء النبي ﷺ :

"اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك".

(رواه مسلم ٧٥١).

وفيه أن الروح تسمى نفسا

قوله: (فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السُّفود (الكثير الشُّعَب) من الصوف المبلول، (فتقطع معها العروق والعصب) فيه إثبات العذاب على الروح والجسد وأن العذاب حتى لمن تشتتت أعضاؤه وأكلته السباع لأنها تتوزع في الجسد وفيه شدة العذاب على العاصي والكافر وأنه كما تخرج الحديدة ذات الشعب من الصوف المبلل

قوله: (فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يَدْعُون الله ألا تعرج روحه من قبلهم) فيه بيان للآية ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾. وأن السنة تفسر القرآن ودليل لقول من قال أنها للروح كما ذكر ابن كثير حيث ذكر في تفسير هذه الآية وقيل: المراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء.

(رواه الضحاك، عن ابن عباس. وقاله السدي وغير واحد).

ثم أورد هذا الحديث يَستأنس به، وفيه جواز لعن الكافر ولعن الفاسق من أهل الإسلام وفيه أن للسماء أبواباً.

قوله: (فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها) دلالة على أن الروح جسم وليست عَرَضا فالتي تمسك وتوضع وتصعد وغيره لا تكون عرضا! وفيه أن الكافر والفاسق خبيث الروح ومنتن في أفعاله لذا أصبحت روحه منتنة وفيه أن الجيفة لا تؤكل وأنها ميتة منتنة.

قوله: (فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا) أيضا دلالة على علو مكانة الملائكة وشرفهم وفيه أنه ينادى الشخص باسم والده لا أمه وفيه أن الإسم المستقبح يبتعد عنه الإنسان كمن سُمِّي الجُعَل أو صَعْب وحَزْن لكن هنا سموه بأقبح الأسماء لما فيه من التنكيل والتوبيخ له.

قوله: (حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ فيه أن السنة تفسر القرآن وأنهما من مشكاة واحدة

وكلاهما وحي وفيه أن الكافر لا يدخل الجنة وأن العاصي والفاجر معرض للوعيد وأنه معذب وفيه مشروعية الاستئذان وفيه ضرب الأمثال في الكتاب والسنة.

قوله: (اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، (ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى) فيه إثبات الكلام لله و فيه دليل لمن قال أن جهنم في الأرض السابعة السفلى ومنهم من توقف في المسألة وفيه إثبات أن الكافر عبد مكره رغما عن أنفه (طوعا وكرها) وفيه تبيان للآية وقد يستأنس بأن النفخ في الصور نفختان على الراجح لأن الإعادة والخروج بنفختين كما في الحديث عن النبي ﷺ (ما بين النفختين أربعون......) (رواه مسلم٢٩٥٥) والله أعلم.

قوله: (فتطرح روحه (من السماء) طرحا (حتى تقع في جسده) ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج]. فيه إذلال روح الكافر والفاسق ولعدم فتح أبواب السماء له طرحت روحه طرحا وفيه بيان أن السنة تفسر القرآن وكما ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية حيث

استشهد بهذا اللفظ في هذا الحديث وكما ذكرنا أن الإعادة للروح ليست كإعادتها في الدنيا فضلا عن الآخرة فهي أمر غيبي.

قوله: (فيقول: هاه هاه لا أدري) هنا هذا الكلام هاه هاه ليس من باب الضحك وإنما عدم المعرفة وعدم درايته وعدم الاستطاعة على الإجابة نسأل الله العافية.

قوله: (فيقال:محمد! فيقول) هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال:لا دريت)، (ولا تلوت)، فينادي مناد من السماء أن كذب) فيه شدة السؤال وهول الموقف وفتنته وأنهم يكذّبونه وأن الكاذب سيفضح في الدنيا والبرزخ والآخرة!! وفيه التشهير بالكذاب وبيان كذبه والتحذير من أهل الكفر والكبائر وأهل البدع للضرورة.

قوله: (فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه) فيه إثبات عذاب القبر وأنه على الروح والجسد كما مر سابقا وأن الاتساع للقبر والتضييق وفتح الباب لرؤية النار نؤمن به وأن الله قادر على كل شيء والإيمان بالنص النبوي على ظاهره وهنا تضيق القبر عذاب له لجسده وروحه أما ضمة القبر للمؤمن كما جاء في

حديث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذ) (صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٦٩٥). رواه أحمد فهذه ضغطة محبة وشوق وحنان أو تكفير من الخطايا وشتان بين الضمة واختلاف الأعضاء نسأل الله العافية والسلامة!

قوله: (ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول (وأنت فبشّرك الله بالشر) من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث؟ فوالله ما علمت إلا كنت بطيئا عن طاعة الله، سريعا إلى معصية الله)، (فجزاك الله شرا) مر معنا تمثل الأعمال والأعراض وتشكلها وفيه أن الكافر والفاسق أفعالهم قبيحة ناسبها التشكل على هذه الصورة وفيه الإشارة أن الثياب القبيحة والرائحة المنتنة مذمومة وليس هذا من الزهد ولا الرهبانية المبتدعة وأن عدم الاهتمام بالمظهر مدعاة للذم والشين وفيه أن الله خالق الخير والشر لقوله جزاك الله شرا وأن الشر أراده الله كونا لا شرعا وهو لا يحبه لكن خلقه وأوجده وأما حديث والشر ليس إليك ليس معناه أن الله لم يخلق

الشر لكن لا يوجد شيء أوجده الله إلا وله حكمة وفيه من الحكمة والخير وليس الشر المحض منسوباً لله وفي خلق الشر والشيطان وغيرهم فيه من الخير العظيم ما الله به عليم ففيه تظهر عبودية العبد وتوبته ورجاؤه وصبره لله ويظهر الحق و فيه تقام الملاحم ويُخزى أعداء الله وينصر جنود الله وتظهر عبودية محاربة أعداء الله فسبحان الله مثل تقليم الشجرة ظاهره الشر فبتقليمها تنمو وكأخذ الدواء ظاهره الشر في طعمه المر لكن فيه الشفاء وكالكي ظاهره الشر وفيه الخير والشفاء فتنزه الله عما تقوله القدرية نفاة الحكمة لله (راجع شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن القيم) .

قوله: (ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مِرزبّة! لو ضرب بها جبل كان ترابا) هنا تقييض الأعمى والأصم والأبكم لينكل به ويشتد العذاب على الكافر وناسبه ذلك فالجزاء من جنس العمل لأنه كان أعمى وأصماً وأبكماً عن الكتاب والسنة وعن ذكر الرحمن وبُعده عن الوحيين فلا يبصر ولا يسمع ولا يتكلم بهما فهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قوله: (فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى) دلالة على شدة عذابه وتكرار العملية ليذوق وبال أمره وهو أيضا أمر غيبي نؤمن به على ظاهره.

قوله: (فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين) فيه دلالة على أن عذاب القبر لا يسمعه الإنس والجن بينما الحيوانات تسمعه. وسماع النبي عليه الصلاة والسلام خاص به. وكما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام الذي يدل على عدم سماع الإنس بينما الحيوانات تسمع لحديث في "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة، فقالت: إن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم، قالت: فكذَّبتُها، ولم أنعم أن أصدقها، قالت: فخرَجَت. ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، إن عجوزاً من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم! قال: صَدقَت، إنهم يُعذَّبون عذاباً تسمعه البهائم كلُّها، قالت: فما رأيتُه بعدُ في صلاة إلا يتعوَّذ من عذاب القبر" (البخاري ١٠٠٢ مسلم ٩٠٣).

وروى مسلم في "صحيحه" عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجَّار على بَغلة له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تُلقيه، وإذا أقبُرٌ ستَّة أو خمسة أو أربعة، فقال: ((مَن يعرف أصحابَ هذه الأقبُر؟)) فقال رجل: أنا، قال: (فمتى مات هؤلاء؟)) قال: ماتوا في الإشراك، فقال: ((إن هذه الأمَّة تُبتلى في قبُورها، فلولا أن تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القَبر الذي أسمع منه)) (مسلم ٢٨٦٧) فدل على أن الحيوانات تسمع أما البشر فلا يسمعون. وهذا رد على من ينشر بعض الفيديوهات والأصوات ويقول أنها من القبور!

قوله: (يفتح له باب من النار، يمهد من فرش النار فيقول: رب لا تقم الساعة) فيه شدة عذاب الكافر والفاجر، حيث فتح له باب من النار فيأتيه من الحر والسموم، وفيه أنه يصبح قبره فراشه والغطاء من نار نسأل الله العافية. وبسبب ذلك يتمنى عدم قيام الساعة لعلمه أنه سيأتيه من عذاب الآخرة ما هو أشد من ذلك، بينما المؤمن يتمنى تعجيل قيام الساعة لعلمه أنه سيأتيه من نعيم الجنة. وفيه أن للنار أبواباً كما مر سابقا. والله أعلم.

نسأل الله العافية والسلامة، وأن يجعلنا من أصحاب الأرواح المطمئنة لا الخبيثة واللوامة بالشر، وأن يجعل أرواحنا تدور حول العرش لا كتلك الأرواح التي تدور حول الحُشّ!

وأن يجعل أرواحنا متآلفة مع أجسامنا لا كحال من قال:

وأرواحنا في وحشة من جسومنا　　وحاصـــل دنيانـــا أذى ووبـــال

ونسأل الله سبحانه أن يبعد عنا عذاب القبر وعذاب جهنم، وأن يثبتنا عند سؤال الملكين للثلاثة أصول، وأن يدخلنا الجنة، وأن يجنبنا النار. كما في الحديث عن النبي ﷺ في دعائه قبل التسليم: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال" وهذا ما تيسر لي كتابته من الفوائد لهذا الحديث العظيم الجليل الذي هو عظيم في قدره وفوائده، وليست الفوائد محصورة فيه، إذ قد تظهر الفوائد لآخر. فأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام بحر واسع فيه من الدرر والكنوز الثمينة لا يستخرجها إلا الغواص المتفنن. والله أعلم.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

م. منتصر عبدالفتاح ظاهر بيبرس

عمان- الأردن . ت (٠٧٩٧٥٩٠٢١٠)

abohud@yahoo.com